

العلم لوحده مؤذٍ

الأرشمندريت يعقوب كاناكيس

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

العلم قوة والمحبة هي الهدف؛ عندما يسيران جنباً إلى جنب، تكون النتيجة رائعة. "العلم يُنفخ، ولكنَّ المَحَبَّةُ تُبني" (١كورنثوس ١:٨). يحنُّنا القديس مكسيموس المعترف على أن: "اجمع العلم والمحبة معاً وستصبح متوازناً بالمنظر، صانعاً روحياً، تبني نفسك وكل من حولك" [١]. يحلل الأب القديس هذه القضية بوضوح كبير: "لهذا، المحبة تبني لأنها لا تحسد ولا تحتضن من يحسد ولا تتباهى بما يُحسد عليه ولا تعتبر أنها هي أو من تحب قد أدركت المعرفة الكاملة" (فيلبي ١٢:٣) إنها تعترف بما لا تعرف، دون أن تخجل من ذلك. لذلك اجعل ذهنك متوازناً وجهزه ليتقدّم في المعرفة. "ومن ثمّ يضيف: "من الطبيعي أن يصاحب الكبرياء والحسد العلم، لا سيما في بداية المعرفة. ينمو التكبر في الداخل فقط، أما الحسد ففي الداخل والخارج. داخلياً الحسد موجّه لمن لديه العلم. أما خارجياً فمن الذين لديهم العلم".

كيف تساعد المحبة في هذا؟ يلاحظ القديس: "المحبة تقلب أشياء ثلاثة. لأن الناس يحبون، فهم لا يتباهون، لذلك ليس يبقى سؤال عن التكبر. لا يوجد حسد داخلي، لأن فائض المحبة ليس حسوداً. ولا يوجد حسد خارجي، لأن القلب المحب يُظهر الصبر والصلاح للجميع (١ كورنثوس ٤:١٣). لذلك، فقط باكتساب المحبة يُمنع العلم القائم من أن يصير شيطانياً". إن علامات موهبة العلم بدون محبة واضحة للغاية. يحزن الناس الآخرين ويغذي الكراهية والشر تجاه الآخرين، كما لو كانوا بأيديهم "يقتلعون أعينهم بالأشواك والحسك".

السؤال البديهي الذي يجب طرحه الآن هو كيف يمكن الجمع بين العلم والمحبة. لننظر إلى الطريق الذي نقله إلينا القديس مكسيموس: "إذا كان المسيح يسكن في قلوبنا بالإيمان، كما يقول الرسول (أفسس ١٧:٣) وكل كنوز الحكمة والمعرفة مخبأة فيه (كولوسي ٣:٢)، فإن كل كنوز الحكمة والمعرفة تكون مخفية في قلوبنا، وتتجلى في قلوبنا بما يتناسب مع درجة تطهير كل واحد منا من خلال مراقبة الوصايا". المسيح نفسه قال بوضوح: "طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله" (متى ٨:٥). في الختام، اكتساب العلم يتطلب جهداً؛ واكتساب المحبة يتطلب الدم. العلم هو حقاً قوة للناس، ولكن بدون المحبة لا يكون زائداً عن الحاجة ومبتذلاً وحسب، بل قد يصير أيضاً خطراً ومدمراً.

[1] Φιλοκαλία ΕΡΕ 14, Μαξίμου του Ομολογητού, Θεσσαλονίκη, 2006.

Source: Αρχιμ. Ιάκωβος Κανάκης. "Η γνώση μόνη της είναι επικίνδυνη". Πεμπτούσια. 20 Σεπτεμβρίου /2021. <https://www.pemptousia.gr/2021/09/i-gnosi-moni-tis-ine-epikindini>